المحاضرة التاسعة : المدرسة الوجودية عند جان بول سارتر (مفهوم الحرية والاختيار)

في كناب نقد العقل الجدلي يحاول سارتر ان يهبط بالحرية الى عالمنا الواقعي الاجتماعي ، فيصور لنا الحرية بصورة عملية تحرر يشارك الانسان عن طريقها في حركة التاريخ ، ان لم نقل يخلق فيها هو نفسه ديالكتيك التاريخ ، ونحن لا نرى مانعا من التسليم مع اصحاب هذا الراي بان هناك جديدا في كتاب نقد العقل الجدلي ، فسارتر يقدم لنا في هذا الكتاب فلسفة اجتماعية وسياسية تحلل علاقة الموجود البشري ، بكل من الكون الطبيعي والجماعة والامة والتاريخ ، وهو يضع بين ايدينا في هذا المؤلف الاخير نظرة عامة الى وضع الانسان في العالم ، فلم يكن انصراف سارتر الى دراسة المشكلة البشرية في جانبها العملي الاجتماعي بمثابة تنكر للمطلب الفلسفي ، او عدول تام عن كل تفكير ميتافيزيقي بل هو قد جاء بمثابة تكملة ضرورية لدراسة فلسفية تكاملية اراد لها صاحبها ان تتخذ في النهاية صورة انروبولوجية فلسفية .

واما اذا قيل في مجرد تقرب سارتر من الماركسية اكبر دليل على تنكره لمذهبه السابق في الحرية ، خصوصا وان الماركسية تنادي بحتمية التاريخ ، وتقول ان البشر مجبرون – حضاريا واقتصاديا – ببعض الظروف ، وبالتالي فانها لاتكاد تدع مجالا للحرية الفردية ، كان الرد على ذلك ان الجهد الذي قام به سارتر في كتابه نقد العقل الجدلي ، قد انحصر على وجه التحديد ، في العمل على افساح المجال ، _ في داخل الاطار الماركسي – للفرد الحر ، حتى يبين لنا بكل وضوح كيف يستطيع الوعي الفردي ، الذي كان موجودا في الوجود والعدم ان ينهض بما عليه من التزام بفهم وبصيرة في صميم العالم الاجتماعي ، فان الوجودية الجديدة ليست في الحقيقة سوى مجرد استمرار طبيعي لاهتمام سارتر بالمشكلة البشرية في شتى مظاهرها ، وليس في تقرب سارتر من الماركسية تحول تام عن فلسفته الاصلية في الحرية وانما هنالك اهتمام اكبر في مشكلة التاريخ ، ومهما كان من امر المحاولة التي قام بها سارتر في كتابه الجديد من اجل التوفيق بين الوجودية والماركسية ، فانه لم يريد للوجودية ان تستحيل الى جبرية تنادي بحتمية التاريخ ، او تقول بان الوعي الفردي مقيد تماما ببعض الشروط الاجتماعية او الاقتصادية .